على هامش معالم التقريب *

عدم المبالاة

لأن الوثنية تخاطب أولا المحاوف والخطوظ اليومية في نفس الآدمي، فإنها لا تعيش وتزدهر - كما يلاحظ محمد عبد الله محمد - إلا في مجتمعات عدم المبالاة .. سواء كانت تلك المجتمعات بدائية أو متحضرة .. وسواء كانت تسكن البوادي أو النجوع أو تقيم في المدن والحواضر .. ذلك أن المجتمعات التي لا تبالي لا تكترث بالقيم الإنسانية، ويتجاهلها أفراد هذه المجتمعات في حياتهم العامة والخاصة .. وهذا هو أيضا حال حكام هذه المجتمعات .. فلا يرون هم والمحكومون في نهارهم وليلهم وسلمهم وحربهم - لا يرون من وجود الآدمي إلا قابليته لإيجاد المال أو النفوذ أو إضاعتهما .. ومثل هذا المجتمع معدوم أو فاقد الروح .. يحتاج أفراده إلى أوثان أو أصنام تسكن مخاوفهم من تأثير الهوى والشره اللذين يعبثان بحظوظ الناس!

في مجتمع عدم المبالاة لا طعم للروابط الإنسانية .. تلوك ألسنتهم صفات القربى أو الأخوة أو الصداقة أو الجيرة دون أن تعيها قلوبهم .. لأن القلوب معزولة في دنيا اللامبالاة .. كل منها منصرف لذاته مشغول برغابه مستريب في غيره خال من الثقة في نفسه ومن باب أولى في غيره .. في داخل كل منهم سخط ورفض وقلق دفين .. لأن هذا الداخل مجدب ظامئ محروم من الري والشبع .

لذلك فربما ليس عجيبا أن تتخذ الحركات المناهضة لمجتمعات عدم المبالاة - أن تتخذ صور " الأحوات " .. سواء في الماضي أو في

---

* المال ٢٠١١/٤/٢١

الحاضر .. فتهيئ للمنضم إليها أن يجد للأخوة في أحضانها ما لم يذقه طوال حياته في مجتمع عدم المبالاة ، ويجد مما يقدم إليه فيها حلاوة طعم الروابط الإنسانية العميقة الحميمة ، فضلا عن حلاوة الانتماء إلى طائفة يتبادل أفرادها الثقة بغير حدود .

وقد تُلاقي أمثال هذه " الأخوات " ـ تحت أي وصف أو اسم ، دينية اجتماعية كانت أو اجتماعية فقط – قد تُلاقي قلق وتوجس المجتمعات التي تطهر أو تنتشر فيها ، أو تُلاقي قلق القوى المسيطرة على هذه المجتمعات . فتكافحها وتسعى للقضاء عليها وتطارد أعضاءها .

ولم تبرأ المجتمعات الإسلامية من آفة "عدم المبالاة " .. في البوادي والحواضر . فانتشرت فيها " الأخوات " العديدة .. مدهبية ونحلية وباطنية وصوفية .. وقاومها السلطان السياسي لما أوجسه انتشارها أو أخافته قوتها أو تطلعها إلى النفوذ السياسي ..

ومن الملاحظ أن من شحبوا مبادئها وعقائدها لأسباب فقهية ، لم يلتفتوا إلى أن طهورها عرض لمرض مستحكم أمسك بتلابيب البلد الذي طهرت فيه .. وإن هذا المرض صب في شيوع " عدم المبالاة " وتفشي عدم اكتراث الناس فيها ـ خاصة الأقوياء والمترفين ـ بالقيم الإنسانية . وعدم مبالاتهم بالضعفاء الذين هم ودائع الله تعالى الذين أوصى عليهم عباده ، وجعلهم أمانة وعهدة في عنق كل مسلم قادر على عونهم وحمايتهم ورفع الظلم عنهم .

هنا ينبه محمد عبد الله محمد إلى أن الاتجاه إلى الله عز وجل – إرادة واعتياد .. يحتاجان إلى مواظبة وتدريب .. وهذا يقتضي أن يعطي المسلم السوي نسبة من أوقات يقظته كل يوم للتأمل وذكر الله

هذا التأمل ومعه الذكر الذي قال فيه القرآن : "ولذكر الله اكبر" ـ ملحوظ في تشريع الصلاة المفروضة .. فالمسلم في هذه الدقائق التي

تؤدى فيها الفريضة ، يقتطع نفسه من تيار وشواغل وزغاب الحياة اليومية ، ويفرغ فيها قلبه وعقله تماما لله عز وجل .. هذا التفريغ هو الصلاة معنى ووجهة وأداءً .. فإذا انصرف المؤدي عن هذا التفريغ - كان معنى هذا أنه غارق في تيار الحياة اليومية ، دون إدراك أو تفطن لما فيه من عدم مبالاة بالاتجاه إلى الله عز وجل ... وحين يستشري هذا تجد هذه المجتمعات تعبد الله كلاما ولا تعبده حقيقة !!!

ها يتوقف محمد عبد الله محمد مرةً ثانية ليقول إلى أهل الإسلام إنهم إذا أرادوا الخلاص من آفة " عدم المبالاة " ، وما تسببه من تفتت وتفرق وتباعد وفقد الاتجاه إلى الله اتجاها حقيقيا نافعا ومثمرا .. فإن عليهم أن يبدأوا بالأطفال ، وأن يحرصوا بكل قواهم على إنقاذ أرواح الأطفال وعقولهم من مصائب العيش في البيئات المزدحمة المتناحرة .. ومن يلاحظ منا ما يجري اليوم في العشوائيات التي انتشرت انتشارا مريعا بعد سنوات مما كتبه محمد عبد الله محمد - سوف يدرك أن هذا العالم المفكر الجليل قد سبق إلى التنبؤ بما نراه الآن من آثار مدمرة على الأطفال في هذه العشوائيات التي تعشت فيها كل أنواع الرذائل حتى رنى المحارم !!!

ينبه محمد عبد الله محمد - من نحو نصف قرن - إلى أن الازدحام والتناحر يسقيان الصغار - مع نقص الأم - قلة الاكتراث وعدم المبالاة بالآخرين وأن ذلك يعلمهم الخوف على النفس والخوف من الغير ، فتصير أصنام المجتمع هي آلهتهم ، وقد كبروا على ذلك ولم يكد ينفع فيهم أو في مجتمعهم فقه فقيه أو وعظ واعظ أو هداية هادٍ !!!

فأين هذا مما يجب أن يتوفر لنجاح الدعوة إلى التقريب ؟!!